الباب الأول:

تعليقات إجمالية على منهج الوثيقة

يلاحظ القارئ المتمعن للوثيقة عدة ملاحظات على منهجها حرفته عن الحياد والموضوعية، نذكر منها:

١- الملاحظة الأولى: مخالفة عنوان الرسالة لموضوعها.

فعنوانا (ترشيد العمل الجهادي) يدعو للتساؤل العمل الجهادي مع من؟ وضد من؟ فإذا بحثنا في الموضوع وجدنا أن صاحبها –كما سنرى خلال الرسالة وفي آخرها- يقيد فعلياً كل عمل جهادي داخل مصر وخارجها وضد الحكام الخارجين عن الشريعة وضد الأمريكان واليهود، لأننا –كما يزعم- مشلولون عجزة كسيحون مساكين مستضعفون..إلخ. فأي عمل جهادي يريد أن يرشده؟ إذن فكان عليه لكي يكون العنوان صادقاً ومعبراً عن موضوع الكتاب أن يسميه إلغاء أو تعجيز أو إيقاف العمل الجهادي. فالكتاب أُعطي له عنوان مخالف لموضوعه، لكي يخفف من وقع العنوان على السامع. وإلا فالكتاب في الحقيقة مكتوب بروح وزارة الداخلية، ويهدف بوضوح -بلغة الداخلية- إلى عدم (تعكير صفو الأمن).

٢- الملاحظة الثانية: الرسالة قفزت مباشرة لما تزعمه من أخطاء في العمل الجهادي، دون أن تشرح الواقع الذي انطلق العمل الجهادي لتغييره.

فقفزت للأخطاء المزعومة للعلاج، دون أن تمر على الأسباب ثم تشخيص الواقع ثم العلاج، وكان يجب على الكاتب أن يتعرض لكل ذلك، ثم بعد ذلك يمكنه أن يتحدث عن الأخطاء المزعومة أثناء العلاج.

ولهذا فإن منهج الرسالة غير متكامل ومبتسر.

ولو ضربنا مثالاً من الطب لذلك لقلنا، لو افترضنا أن كاتباً أراد أن يكتب عن تخصص في الطب كالأمراض الباطنة أو الجراحة، فلا بد له عند التعرض لكل مرض معين مثل الملاريا أو التهاب الزائدة الدودية، أن يذكر أولاً نسب انتشاره في الأمكنة وبين الأعمار المختلفة والذكور والإناث، ثم سبب المرض، ثم يتطرق للتغيرات التي يحدثها المرض على أجهزة الجسم، ثم بعد هذه المقدمة النظرية، يتطرق للجانب العملي أو السريري فيكتب عن التشخيص بعناصره المختلفة ثم العلاج بخطوطه المختلفة من عقاقير وعمليات ووقاية، ثم يجوز له بعد ذلك أن يتحدث عن أخطاء الأطباء في تقديم العلاج أو إجراء الجراحات.

أما أن يقفز مباشرة بعد ذكر العنوان بأسطر –دون التطرق لشيء مما ذكرناه- إلى ما ينسبه -بزعمه- للأطباء من أخطاء، فهذا كاتب لا تقبل كتابته عند أهل الطب.

٣- الملاحظة الثالثة: أن الرسالة تركت الأهم وانشغلت -بما تظنه- المهم. فتركت جرائم الصليبيين وعملائهم، وتركت تحريض الأمة على قتالهم والتصدي لهم، وانشغلت بما تزعمه أخطاء الزاهدين.

وهذا أشبه بوباء نزل بمدينة يختطف أرواح أبنائها في سرعة كالعاصفة، فبدلاً من أن يهب العقلاء وأهل الحكمة لتوعية الناس ضد الوباء ودعوتهم للعلاج وحشد الأطباء وجمع الأدوية وتجهيز المشافي وجمع الأموال واتخاذ إجراءات الوقاية. إذا برجل متجاهل للواقع يقوم وسط الناس يحذرهم من أخطاء الأطباء، ويدعوهم للصبر وترك العلاج لأنهم عاجزون عنه. لأن هناك أخطاء يقع فيها الأطباء قليلة أو كثيرة، كبيرة أو صغيرة!

٤- الملاحظة الرابعة: أنها لم تتجاهل وصف الواقع وتشخيصه فقط، بل تجاهلت أيضاً علاجه، فلم تقدم بديلاً معقولاً للعلاج، فالخيارات الست التي قدمتها (١- الهجرة. ٢- العزلة. ٣- العفو. ٤- الإعراض. ٥- الصبر. ٦- كتمان الإيمان) -مع ما فيها من كلام سيأتي بعضُه- لا تقدم حلاً عملياً، فملايين الشباب الملتزمين بالإسلام والمتحرقين لخدمته كيف يمكن أن يهاجروا وإلى أين؟ وكيف يمكن أن يعتزلوا؟ وكيف يمكن أن يكتموا إيمانهم؟ كل هذا في مواجهة أحداث عظام تعصف بالعالم الإسلامي عصفاً، وفي مواجهة موجة من

الفساد العارم المركب، ثم يزيد الكاتب من تعقيد الحل فيضيف إليه اليأس من نجاح أي حركة إسلامية أو شعبية في مصر، لأن "الحركات الشعبية ومنها الإسلامية لم تغير النظام في مصر على مدى التاريخ" كما يقول. أي أن الحل الذي يطرحه الكاتب حل عاجز عن تغيير الواقع بل ويعسر تطبيقه، ثم في النهاية يبشر الكاتب الجميع باليأس من نجاح أي حل!

فإذا أضفت لهذا أن الكاتب قد وضع شروطاً للقيام بالجهاد لو طبقناها على أي ميدان من ميادين الجهاد لأجهزت على جهاده، كما سأبين، ثم لم يقترح الكاتب أي صورة من صورة المعارضة والمدافعة ولو سلميةً. إذن إلى أين تقودنا الوثيقة؟ ولصالح من؟

٥- الملاحظة الخامسة: أنا ألقت باتامات على الماهدين دون دليل ولا برهان، ولم تذكر ما هي مصادرها فيما نسبته للمجاهدين، بل تجاهلت شهادات الماهدين، وأغلبهم عدول بفضل الله، بشهادة الرسالة نفسها. حيث يقول كاتبها أو كاتبوها: "وهذا كله مع تقديرنا وإقرارنا بأن الإخوة الماهدين في كل مكان هم في الجملة أصحاب قضية نبيلة وحملة رسالة سامية، وليس صحيحًا أنم طلاب منافع دنيوية بل أن كثيرًا منهم يضحون بالنفس والنفيس من أجل إعزاز الإسلام والمسلمين".

٦- الملاحظة السادسة: أنا لم تلتزم المنهج العلمي ولا الأمانة العلمية في عرض الآراء الفقهية. ففي مسألة الأمان لم تنقل مثلاً قول الشوكاني، وفي التترس نقلت قول الغزالي وتركت قول الجمهور. وقال كاتبها بأنه سيسمي غير المقاتلين مدنيين جرياً على العرف. وطبعاً كانت الطامة في عدم إسقاطه لشرط إذن الوالدين والدائن في الجهاد العيني. والأطم - وهو طابَعُ الوثيقة بشكل عام- هو الحيدة عن التفصيل واعتماد أسلوب الإطلاق والتعميم أو الإيهام بما.

٧- الملاحظة السابعة: الرسالة غير متوازنة. ففي الوقت الذي ترمي الماهدين بأخطاء دون دليل، تتغاضى تماماً وتتعامى عن الجرائم البشعة التي ارتكبها الصليبيون وعملاؤهم من الحكومات الخارجة عن الشريعة ضد الإسلام والمسلمين.

٨- الملاحظة الثامنة: لم تلتزم الوثيقة بالأمانة في السرد التاريخي في سردها لعمليات جماعة الجهاد. وإنما قدمت الرواية الأمنية لما حدث.

٩- الملاحظة التاسعة: الرسالة متناقضة. صاحبها يقول أنا لست عالماً ولا مفتياً، ولكنه ملأها بقوله إن هذا جائز وهذا غير جائز وهذا واجب وهذا حرام، وتقرير أحكام شرعية في نوازل عظيمة، قل أن يستقل با أحدٌ من أهل العلم!

١٠- الملاحظة العاشرة: الرسالة امتلأت بالمسلمات غير المسلمة، التي انطلق منها الكاتب، ولم يكلف نفسه عبء إثباتا. مثل إن الصدام مع الحكومات أتى بضرر عظيم، ومثل إن حال الجماعات الإسلامية يدور بين العجز والاستضعاف.

١١- الملاحظة الحادية عشرة. الرسالة حوت إطلاقات دون تقييدها بقيودها الشرعية المعروفة عند أهل العلم. مثل قاعدة (المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً).

١٢- الملاحظة الثانية عشرة. كاتب الرسالة تعمد إخفاء مسائل مهمة تتعلق تعلقاً لا ينفك بموضوع الرسالة ذكرها من قبل في كتابيه العمدة والجامع، دون أن يذكر هل غيرها أو لم يغيرها. بل لم يكلف نفسه حتى توضيح الآراء التي في العمدة التي تراجع عنها في الجامع. مع أنه أقر بأن كتابيه قد فهما خطأ، وأنه يكتب رسالته هذه لينفي عنهما الفهم الخطأ، ثم لم يذكر لنا هل لا زال متمسكاً بكل ما قاله فيهما أم تراجع عن بعضها؟

أ- فمثلاً الكاتب في كتاب الجامع يعتبر أن حكام بلاد المسلمين معظمهم مرتدون خارجون عن الشريعة، ويعتبر أن أعوانم كالشرطة والجيش والأمن والقضاة والصحفيين الرسميين والعلماء الرسميين كفار على التعيين، بل يعتبر أن من لم يكفرهم فرداً فرداً كافر، لأنه خالف إجماع الصحابة القطعي في زعمه. فكفر حتى إخوانه الماهدين المقاتلين لتلك الحكومات، إذ لم يلتزموا برأيه فيها.

قال صاحب كتاب (الجامع):

"**والخلاصة:** أن الحكم بكفر أنصار الطواغيت الممتنعين على التعيين قد ثبت بإجماع الصحابة إجماعا قطعيا ليس فيه منازع، ومثل هذا الإجماع يكفر مخالفُه، فمن خالف في هذا الحكم فقد كَفَر واتبع غير سبيل المؤمنين وفارق جماعتهم"[1].

فهل لا زال الكاتب على هذا الرأي؟

وهذا القول قد رد عليه بقوة فضيلة الشيخ أبي يحيى الليبي حفظه الله، في كتابه الأصولي القيم (نظرات في الإجماع القطعي).

ب- ومثلاً يعتبر الكاتب أن كل من دخل البرلمان أو أدلى بصوته في الانتخابات كافر، ولا يشفع له حسن نيته في أنه أراد بذلك نصرة الإسلام، فهل لا زال على هذا الرأي؟

ج- ومثلاً يعتبر الكاتب في كتابه (الجامع) أن كل من حمل السلاح ضد الحكومات المرتدة قبل نشر الدعوة لا بر عنده ولا تقوى. حيث يقول:

"فهذه بعض صور التعجل، الذي هو سبب الحرمان، وقال عمر بن الخطاب (إن الحرب لاُيصلحها إلا الرجل المكيث) أي المتأني. وقال تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، ولكن البر من اتقى، وأتوا البيوت من أبوابها) البقرة ١٨٩، فكل شيء -ومنه التغيير الإسلامي- له بابه الذي يجب أن يُؤتى منه، أما تسلّق الأسوار -بانتهاج الديمقراطية أو بالاجتماع على غير منهج أو بالتعجل في التأليف أو بتعجل الصدام- فليس من البر وليس من التقوى ولايثمر إلا الحرمان والندم"[2].

فحكم على كل من قتلته الحكومات المحاربة للإسلام وكل من اعتقلته وعذبته من المجاهدين في مصر وفي غيرها في وقت كتابة كتابه ذاك، بأنه لا بر عنده ولا تقوى.

وللأسف فإن كثيراً ممن وصفهم الكاتب بأنهم لا بر عندهم ولا تقوى كانوا يعملون تحت إمرته وبأوامره، فهل ينسحب هذا الحكم عليه أيضاً؟

وهل لا زال الكاتب على هذا الرأي؟

[1] الجامع في طلب العلم الشريف ج: ٢ ص: ٦٧٦.

[2] الجامع في طلب العلم الشريف ج: ٢ ص: ١٠٢٢.

د- ومثلاً يعتبر الكاتب أن الجماعة الإسلامية المصرية من غلاة المرجئة. فهل لا زال الكاتب على هذا الرأي؟

١٣- الملاحظة الثالثة عشرة. الكاتب تعمد إخفاء بعض الأحكام الشرعية والسكوت عنها، فعندما زعم عجز المسلمين والجماعات عن الجهاد. لم يذكر من البدائل التي يطرحها؛ الإعداد للجهاد، رغم إنه قد بينه في كتابه (العمدة)، وكذلك لم يذكر الصدع بالحق في وجه الظالم. مع أنها من واجبات الأنبياء وأتباعهم.

١٤- الملاحظة الرابعة عشرة. أن كاتب الرسالة يستخدم أسلوب التحذير المتكرر دون أن ينصف المجاهدين، فيتوهم القارئ أن هذه الأخطاء أكيدة فيهم. فيحذر ممن يفتي في الدماء وهو لا يفقه مسألة في الطهارة، وممن يرتكب حماقة ثم يبحث لها عن تبرير، وممن يأخذ العلم من كتب السلف وهو غير مؤهل. ثم يسكت عن النشاط العلمي للمجاهدين. فيتصور السامع أنهم مجموعة من الجهلة الحمقى المبررين.

وهذا مثال من ينصح غيره، فيقول له: لا تسرق، ولاتزن، ولا تكذب، ولا تخُن، فيقول له: أنا لا أسرق، ولا أزني، ولا أكذب، ولستُ بخائنٍ . فيرد عليه: أنا أحذرك فلماذا تغضب؟ فربما يظن السامع أن المنصوح قد تلبس بسرقة أو زني أو أو كذب أو خيانة. وهذا أمر تكرر من الكاتب مرات عديدة.

١٥- الملاحظة الخامسة عشرة: أن الكاتب نزل في أسلوب كتابته إلى مستوى السب والشتم والتجريح الشخصي بالزور والافتراء. فمثلاً يتكلم عن الذين فروا عن نسائهم وعيالهم، وعن الجهلة الأغبياء، وعن الذين أرسلوا أبناءهم لملاذ آمن وتركوا غيرهم للسجن والقتل، وعن العملاء والمرتزقة. وهذا مستوىً لا نستطيع أن نجاريه فيه.

هذا مستوىً يُعرف عن ضباط المباحث، ولاُيعرف عن العلماء المحققين، ناهيك أن يعرف عمن يزعمون أنهم يسعون في الترشيد. فما بالك إذا كان المراد ترشيدهم هم المجاهدين؟ الذين أثنى عليهم الكاتبون للوثيقة المذكورة. فهل انتقل له هذا الأسلوب من العلاقة التي نشأت بين الكاتب وأولئك الضباط، والذي كان هذا الكتاب هو أحد ثمراتها؟ فلا شك أنهم أسعد الناس

بذا الكتاب، ولا شك أن كتابة هذا الكتاب ونشره وتوزيعه وإكراه الناس على قبوله بالترغيب والترهيب، ثم الدوران بصاحبه على السجون ليروج له، والإفساح له في كل ما يتصل بذه الخدمة. فلا شك أن كل ذلك قد أوجد نوعاً من العلاقة الودية بين الطرفين. وقد قيل:

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه يعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ

١٦- الملاحظة السادسة عشرة: يلاحظ من هذا الكتاب ومن كتاب (الجامع) من قبله أن الكاتب يعاني من تناقض شديد. وإن كان ذلك التناقض قد بدأ في كتاب الجامع، لكنه بلغ ذروته في هذه الوثيقة، فتجد الكاتب شديد الوطأة على الماهدين بينما تجده متسامحاً جداً مع الرمين يدعو للتعامل معهم بالحسنى والصبر والعفو والتقية. وتجد الكاتب يحمل الماهدين كل الأوزار ويعتبرهم سبب المصائب، بينما لا ينطق بكلمة عن أكابر الرمين الذين يحيطون به.

ومن الأمثلة الصارخة على ذلك موقفه من شهيد الإسلام -كما نحسبه- الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، فالكاتب في كتابه (الجامع) يعتبر أن الكثير من علماء الجماعات الإسلامية أولى بالجهاد من حكامهم، وذلك لأنم لا يقبلون بحكم الشرع إذا خرج عليهم وليس لهم،

ولم يذكر طبعاً أن هذا العالم هو شهيد الإسلام الشيخ عبد الله عزام رحمه الله. ثم كرر الكاتب نفس الرأي تقريباً في هذه الوثيقة، وأضاف في وصف أولئك العلماء بعض الآيات التي ذكرت صفات اليهود!! وسأشير لهذا الأمر تفصيلاً في موضعه إن شاء الله.

١٧- الملاحظة السابعة عشرة: وهي انفصال الكاتب عن الواقع، عندما يتكلم الكاتب عـن المعاملة بالمثل مع الغرب. قال: "واليوم يوجد في بلاد الكفار الأصليين ملايين المسلمين يقيمون ويعملون بأمان". هل تناسى الكاتب ما يفعله الغرب بنا من قرون؟ من القوقاز حـتى سـبتة ومليلية. إن المرء ليتعجب من هذا التغافل عن الواقع. أهو عزلة عن الواقـع؟ أم مكـابرة في إثبات صحة الرأي؟ أم الأدهى؟ محاولة إرضاء آسريه بأية حجة، حتى ولو بدت متهافتة.

وبذا كتبت الوثيقة بمنهج مبتسر غير متوازن غير متكامل يحاول أن يوهم السامع بإدانة الماهدين دون أن تكلف الوثيقة نفسها عبء تقديم دليل الإدانة، بل وانحدر كاتبها لأسلوب لا يليق بالبحث العلمي.